

دراسة استعارة المكان في روايتي أنا أطفئ المصابيح لزويا بيرزاد وعمارة يعقوبيان لعلاء الأسواني

اعظم بي باک*

عطاء الله كوپال (الكاتب المسؤول)**

زرين تاج پرهيزگار***

الملخص

الاستعارة هي سمة لغوية لا تقتصر على جماليات اللغة بل اتسعت اليوم في جميع مجالات الأفكار بل الحياة بأسرها، ويمكن لها أن تخلق مفاهيم مجردة من المصادر الموضوعية وتجسدها. المكان في القصة هو منصة تشكيل الأحداث وبسبب علاقته الوثيقة مع شخصيات الروائية، فمن الممكن تحليل الرواية عبر تحليل المكان. تطرق هذا البحث إلى دراسة استعارة المكان في روايتي أنا أطفئ المصابيح وعمارة يعقوبيان على المنهج الوصفي-التحليلي وأهم ما توصل إليه هو: في رواية أنا أطفئ المصابيح إن البيت وأجزائه المختلفة هو استعارة لحالات الشخصية الرئيسية في القصة وتعبر عن وحدتها واحتياجاتها العاطفية وانفجاراتها الروحية وأحاسيسها المكتوبة. وفي رواية عمارة يعقوبيان، يعتبر المبنى وسكانه استعارة للمجتمع المصري وشرائحه المختلفة التي تواجه العديد من المشاكل كالفقر واستغلال السلطة لرجال الحكومة والإهانة للمرأة والارتشاء والمثلية الجنسية. ويصور الكاتب أماكن مختلفة في تشكيل شخصيات القصة وتطورها.

الكلمات الدلييلة: الاستعارة، المكان، أنا أطفئ المصابيح، عمارة يعقوبيان.

*. مرشحة للدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، فرع كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران
**. أستاذ مشارك في اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران
koopalkiau@yahoo.com

***. أستاذة مساعدة في اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران
تاريخ الاستلام: ١٤٤٤/٠٩/٢٣ ق
تاريخ القبول: ١٤٤٤/١٠/٢٧ ق

المقدمة

المكان فى الرواية يشبه الوعاء، وما فيه هو العناصر القصصية أخرى، وفى غياب الوعاء/المكان لا يمكن وضع شىء آخر. وتجد الأحداث والشخصيات معنى فى سياق المكان، وأحياناً إضافة إلى معناه الأسمى يأخذ المكان معنى رمزياً وهو الاستعارة لأنها صورة رئيسية ومهمة للمجاز دائماً وتتجاوز اللغة القياسية. تتكون الاستعارة من كلمة لها عدة معانٍ والمكان فى القصة إذا أريد به معنى آخر فهو مكان استعارى وإن كان خيالياً أو حقيقياً كما نرى فى روايتى *أنا أطفئ المصابيح* و*عمارة يعقوبيان*، لأنه ليس هو نفس المكان الحقيقى وتم خلقه بالمفردات والكلمات على يد المؤلف. ويبدأ المؤلف القصة بأسماء الأماكن الحقيقية، ولكنه يستحدث بخياله ما يريد إضافته إلى الواقع.

المكان حقيقة تتجاوز فى الرواية أداء وظيفة تحديد مكان وقوع الأحداث للتعبير أحياناً عن الحالات الذهنية للشخصيات وتطورها بشكل مجازى، ولهذا يصبح المكان عنصراً وجودياً فى العمل الروائى ويؤثر على شخصياتها.

أهمية البحث

نظراً إلى أهمية المكان فى تكوين القصص القصيرة والروايات، فمن الضرورى دراسة معناه الحقيقى أو الإستعارى بشأن أبطال الرواية لتبيين غرض المؤلف من اختيار الأماكن بشكل أفضل.

خلفية البحث

فيما يتعلق بالروايتين المعنيتين، فقد تم إجراء العديد من الأبحاث فى الجوانب المختلفة، منها:

- ١- بررسى تطبيقى چراغها را من خاموش مى كنم و علفها آواز مى خوانند. (دراسة مقارنة بين *أنا أطفئ المصابيح* و *الأعشاب تعنى*) سمييه رجبى وآخرون. كتاب ماه، ١٣٩٢هـ ش، العدد ١٨٧. تم مناقشة المحتوى وطريقة السرد للروايتين والسيميائية فيها.
- ٢- چه كسى چراغها را خاموش مى كند؟ تحليل رمان "چراغها را من خاموش مى كنم" بر اساس نظريه گروه خاموش. (من يطفئ المصابيح؟ دراسة رواية *أنا أطفئ*

المصابيح حسب نظرية مجموعة صامتة). عليرضا دهقان نيري وآخرون. جامعه شناسي هنر وادبيات، ١٣٩٧هـ، ش، العدد ١.

العزلة هي الإستراتيجية الأكثر استخداما في العلاقة بين الرجال والنساء في القصة وإضافة إلى الجنس، فإن الطبقة والعرق ومكان الحياة هي أساس تكوين مجموعات صامتة ومهمشة. ٣- نقد رمان عمارت يعقوبيان بر اساس رئاليسم در نظريه جامعه شناسي "جورج لوكاچ". (نقد رواية عمارة يعقوبيان استناداً إلى الواقعية في نظرية علم الاجتماع لجورج لوكاس). زهرا افضلی وآخرون. نقد ادبي معاصر، ١٣٩٥هـ، ش، العدد ١٢. يعكس الروائي الحقائق بدون إسقاط أفكاره عليها احيانا وبجراحة كاملة، وقد أظهر عبر الرواية التناقضات الاجتماعية عن الفساد الأخلاقي والسياسي والإداري (الواقعية النقدية) وبسبب اهتمامه بشعبه، فقد عبّر عن المشاكل الموجودة في المجتمع (رواية شعبية). ٤- نقد جامعه شناختي رمان عمارت يعقوبيان. (النقد السوسبيولوجي لرواية عمارة يعقوبيان). علي خناري گنجيان وآخرون. نقد ادب عربي، ١٣٩٢هـ، ش، العدد ٧: يقدم الأسواني في روايته صورة كاملة وباتولوجية للمجتمع المصري وكل شخصيات الرواية تعاني من عدم الكفاءة والإحباط.

في الأبحاث التي أجريت على هاتين الروايتين، لم يتم إيلاء اهتمام خاص بعنصر المكان وتأثيره على تحول الشخصيات، فلهذا البحث حادثة في هذا المجال.

أسئلة البحث

١. كيف تبيّن الشخصية الرئيسية للقارئ في رواية أنا أطفئ المصابيح عبر الأماكن الموجودة فيها؟

٢. ما مدى نجاح رواية عمارة يعقوبيان لتبين معاناة المجتمع المصري عبر الأماكن الموجودة ودورها في تحول أبطال الرواية؟

فرضيات البحث

١. في هذه الرواية، إنّ المكان الرئيسي للأحداث هو البيت وأجزاؤه والتي تشمل الغرف والمطبخ والساحة المحيطة به وكل جزء من المنزل يشير إلى شخصية

البطلة وحالاتها الروحية ومشاعرها وهو أمر مهم للغاية فى تطورها ويتعرف القارئ على توقدها الروحى وانفعالاتها من خلال تعرفه على أماكن الرواية وما فيها. وبمعنى آخر إن حقيقة الأماكن هى نفس الروح السلبية والمجموعة للشخصية الأولى فى الرواية.

٢. اختيار اسم المكان الحقيقى للرواية يوضح ديناميات القصة، كما لو كانت القصة قصة حقيقية ومؤلة للمجتمع المصرى فيستعين المؤلف بالأمكنة التى يتحرك فيها أبطال الرواية وأثرها على تطورهم كاستعارة عن الظروف التى تفرضها الحكومة على الناس.

المدخل

«كلمة استعارة metaphor مشتقة من الكلمة اليونانية metaphora وهى مشتقة من meta التى تعنى الأكثر و pherein التى تعنى الأخذ. ومعنى هذه الكلمة هو مجموعة خاصة من العمليات اللغوية التى يتم فيها نقل وجه من وجوه المعنى أو أكثر منها بمعنى جديد حيث يتم توصيفه كأنه نفس المعنى الأول. واعتبرت الاستعارة هى الشكل الرئيسى للمجاز دائما وتحتل لغة المجاز نظام استخدام اللغة عامداً وهدفها هو الوصول إلى معانٍ أوسع و جديدة.» (هاوكس، ١٣٧٧ش: ١١-١٢) ما تقوله لغة المجاز ليس بالمعنى الحقيقى كهذه الجملة: بكت سحابة الربيع. وتوجد الاستعارة دائماً بين الظواهر التى لها بينهما تشابه ظاهرى وعلاقة فكرية كما ورد فى المثال المذكورة فتتشابه قطرات المطر فى مظهرها مع قطرات الدموع. لذلك فإن الاستعارة تتكون من عملية نقل وإدراك مفاهيمى من خلال التشابه، وتستخدم الكلمات بمعنى جديد ومكانها هو المجال العقلى والفكرى. ولا يعتبر ليكاف الاستعارة مجرد مسألة لغوية، بل يعتبرها ذات علاقة بالفكر والحكمة.

على سبيل المثال فى جملة: (وصلت علاقتنا إلى طريق مسدود)، يتم «استعارة الحب على شكل الرحلة ومع هذا التلميح الضمنى إلى أن العلاقة قد توقفت عن الحركة ولا يمكن للعشاق مواصلة المسار الذى بدؤوه، ففى الحقيقة، يتم تصوير الحبّ فى رحلة.»

(مدرسى، ١٣٩٥: ٢٦) في المثال المذكور، لم يأتِ أي كلمة تشير إلى أن بداية هذه القضية ونهايتها هي الحب، بل يُدرك حسب الفكر والرأى، إنَّ ضرورة الحياة الاجتماعية تخلق الاستعارة. ويتكلم المتحدث بشكل يخلق معنى خاصا في أذهان الجماهير. وللتعرف على معنى الاستعارة بشكل أفضل، من الضروري الانتقال إلى عالم الكلمات الداخلي، لأن المتكلم عندما لا يرغب في التعبير عن شيء بشكل مباشر، فإنه يتجه إلى الاستعارة. «فللاستعارة قوة وأثر لا توجد في غيرها من أدوات الاتصال اللفظي والمرئى. ومن المحتمل أن ترتبط هذه القوة والتأثير بمزج المعالجة المرئية مع المعالجة اللفظية. كما أن التنوع الموجود في الاستعارة يسهل دخولها إلى مجالات مختلفة من الحياة العملية والفكرية بسلاسة.» (قاسم زاده، ١٣٩٢ش: ١٧٣) وحسب نظرية الاستعارة، إضافة إلى اللغة التي تستند إلى الاستعارة فالطريقة التي نفهم بها المواضيع المجردة للعالم مستندة إليها أيضاً. و«الاستعارة هي عملية عقلية ومعرفية، وتصبح هذه العملية أكثر فهما إذا تجسّدت في مكان ما.» (سجودي، ١٣٩١ش: ١٣٧) وبناءً على هذا «تخرج الاستعارة من المحسنات اللفظية وتجسّد المفاهيم العقلية البشرية. والتجسيد هو ظهور المفاهيم الذهنية والتجريدية التي لها علاقة بعلم النفس والأدب. وبالطبع، الصور لا تقتصر على ما يُرى، بل تشمل الغيب أيضاً، كمثال هذه الجملة: الصحارى التي لا نهاية لها من الأبدية، تتسع أمامنا.» (ولك، ١٣٨٢ش: ٢٠٨ و ٢١٠) حاوية التجسيد هي المكان الذي يمثل منصة للأحداث ومساحة لتكوين الشخصيات في الرواية. ويصف المؤلف الأماكن بطريقة يمكن تخيلها للجمهور بسهولة ورؤية أنفسهم هناك. «المكان الاستعاري أكثر من مجرد مكان تحدث فيه الأحداث، فهو يشير إلى الحالة العقلية لشخصياته.» (ناظميان وآخرون، ١٣٩٧ش: ٢٨٧) لم يكن هناك اهتمام خاص بالمكان في القصص القديمة، وبدأت بالكلمات: كان أو مكان... في قديم الزمان كان... كان ملك ظالم و... ولكن منذ تشكيل الرواية، إنَّ الاهتمام بعنصر المكان أصبح ذا أهمية خاصة. «يعتبر الفضاء السردي حسب وظيفته عنصراً للتحكم وللرمز ولذلك فالمكان ليس عنصراً إضافياً في السرد، بل يتخذ أشكالاً ومعاني عديدة ويصبح أحياناً هدف السرد. وتحليل الفضاء السردي يتيح لنا أن نفهم تماماً المعنى العام للعمل وفي

الحقيقة يمكننا أن نصف مستقبل الشخصية الروائية عبر وصف المكان وهناك علاقة وثيقة بين الشخصية والمكان.» (بحراوى، ١٩٩٠: ٣٠ و٣٣)

ملخص رواية أنا أطفئ المصابيح

كتبت زويا بيرزاد هذه الرواية عام ١٣٨٠هـ ش، فهي قصة عائلة أرمنية مكونة من خمسة أفراد: آرتوش وكلاريس (زوج وزوجة) وأولادهما: أرمين وهو مراهق، وبنتان توأمان (أرمين وأرسين)، يسكنون في دار حكومية تابعة لشركة النفط في آبادان. كلاريس -بطلة الرواية- زوجة متفانية وأم حنون، تهتم دائماً بالشؤون المنزلية وتعتنى بزوجها وأطفالها وغيرهم، بما في ذلك والدتها وأختها وأصدقائها ومعارفها وتنسى نفسها وتكبت رغباتها ورغم خدماتها لهم، يتجاهلون لها ولا تحظى باهتمام من أهم شخص في حياتها وهو زوجها آرتوش. حتى تحدث حوادث جديدة وغريبة بوصول جيرانها الجدد وهي عائلة مكونة من ثلاثة أفراد: الجدة إلميرا سيمونيان وابنها إميل سيمونيان وحفيدتها إميلى سيمونيان. ويهتم إميل سيمونيان بأفكار كلاريس وسلوكها وكل ما يتعلق بها ويعجب بها. فتشعر كلاريس أن إميل مهتم بها، ولكنها عندما يهاجم الجراد المدينة، تدرك خطأها وتحاول إلقاء نظرة جديدة على الحياة.

دراسة المكان في رواية أنا أطفئ المصابيح

الشخصية الرئيسية في هذه الرواية هي ربة منزل أرمنية اسمها كلاريس، التي تحدث معظم الأحداث المتعلقة بها في منزلها ولذلك، يعد المنزل أهم مكان في الرواية. ثم ومن أجل تقديم أوصاف أكثر اكتمالاً لشخصية القصة، تم تقسيم المنزل إلى أجزاء أصغر. وفي الواقع، استخدم المؤلف تعبيراً مجازياً بدلاً من الوصف المباشر والأماكن هي: المنزل وأجزائه، وهي: المطبخ والأريكة المريحة الجلدية الخضراء وفناء البيت وما فيه من الضفادع وشجرة التنوب والمساحات الخارجية من البيت كالكنيسة وقاعة الاجتماع وهجوم الجراد على المدينة وعلى منزلها. وكل واحد منها يعبر عن جانب من جوانب شخصية البطلة.

البيت: الحكاية تحكى في احد المنازل الحكومية التابعة لشركة نفط آبادان. ورغم أن

المكان حقيقي، إلا أن الرواية مستمدة من خيال المؤلف والامتزاج بين الحقيقة والخيال له أثر مهم لقبول القصة من وجهة نظر القارئ. ويمثل المكان في السرد عنصرًا له وظيفة نفسية. «المنزل هو مكان يعيش فيه الإنسان لفترة طويلة ويشعر بالتعلق فيه وإثر ذلك تظهر تجربة نفسانية إلى حد أنه قد يتجاهل نفسه.» (كاظم زاده وآخرون، ١٣٩٨ش: ١٠٧) المنزل كله من وجود كلاريس، وكلاريس ملخصة في المنزل، وإذا لم يتم الاعتراف بالمنزل دائماً، فمن المحتمل أن يتضرر جراء العواصف. فكلاريس التي تعودت دعم الآخرين وهي لم تلتفت انتباههم خلال هذه السنوات، فحان الوقت لتظهر آثار الانهيار عليها، كأنها بانتظار عاصفة! «جاء صوت فرملة حافلة المدرسة، ثم صوت البوابة المعدنية للفناء وصوت الركض على العشب ... لم أكن بحاجة إلى النظر إلى الساعة على حائط المطبخ، لقد كانت ٤:١٥ مساء.» (بيرزاد، ١٣٨٠ش: ٩) «كانت متعبة من الرتابة في حياتها. وكل يوم تعمل نفس الأعمال المتكررة دون امتنان وشكر من حولها. "صوت الحافلة ... في انتظار سمع صوت الركض، أمسكت بمزرتي.» (نفسه: ١٣٨) إن الاهتمام بشؤون الأسرة والأطفال دون اتباع نهج جديد يشير إلى رتابة حياة كلاريس. كان لديها روتين مزعج. وأصبح المنزل مكاناً لتعذيبها. إنها تعاني من حقيقة مرّة وهي أن لا أحد يفهمها وأنه كان عليها أن تتجاهل نفسها باستمرار، كأنها كان محكومًا عليها بالقيام بالأعمال التي كلفها بها الآخرون دون أن تلعب دوراً في اتخاذ القرار. «كنت غاضبة ... أجبرتنى نينا على إقامة حفلة بالقوة ... لماذا لم يفكر أحد بي؟ لماذا لم يسألني أحد ماذا تريدن؟ ... أريد أن أبقى وحدي لبضع ساعات اليوم .. أريد أن أتحدث إلى شخص ما، عن الأشياء التي أحبها.» (نفسه: ١٧٧)

لكل شخص مكان خاص يشعر به الهدوء و الأمن، ويمكن أن يكون بيته كله أو جزء منه وإن كان صغيراً! فكانت لامرأة قصتنا مساحة صغيرة جداً على قياس أريكة تلجأ إليها لترتاح أو لتفكر في نفسها. «جلست على الأريكة الجلدية الخضراء. واستمعت لبضع لحظات إلى الصوت الرتيب للمبردة. ثم أخرجت كتاباً من الرف المجاور للنافذة الذي أرسله لي صاحب محل لبيع الكتب من طهران.» (نفسه: ٢٣) ويبدو أنها تقدر أن تعيش لنفسها في هذا المكان فقط وإن كان لبضعة لحظات. «لما كنت وحيدة... أحببت

أن أجلس براحة بال على الأريكة المظللة، وأريح رأسي على ظهرها وأدخن سيجارة وأفكر...» (نفس المصدر: ٦٤)

بيت الأب: بيت الأب هو مكان نمو الإنسان وتطوره وهو أيضا ملجأ له عندما يكبر. «عادة ما يكون بيت الطفولة مكان سلام وخيال وعندما نتعد عنه، نعود إليه دائماً في أفكارنا وخيالنا وفي معظم الأوقات، لا نجد ذلك الشعور بالدعم الذي كنا نتلقاه منه في مظاهر الحياة المادية الأخرى.» (باشلار، ١٩٨٤م: ٩) إذا لم يتمكن رجل أو امرأة من العثور على ما يريده في الحياة الزوجية، فإنه يجده في الذكريات السعيدة لمنزل والده، أي إن التركيز في الذكريات ينصب على الجزء المهمل في الحياة. ومشكلة كلاريس في حياتها هي أنها لا يفهمها من حولها وخاصة زوجها. «كنت أفكر في أشياء لم يكن لدى فرصة تذكرها، مثل منزلنا في طهران، الذي كان به فناء صغير ... كنت أفكر في والدي الذي يعود إلى البيت لتناول الغداء عند الظهر ... كان يأكله بشهية وهو يستمع إلى كلام أمي ...» (پيرزاد، ١٣٨٠ش: ٦٥) كما أن أثمار شجرة التنوب للفناء تعطيتها شعوراً جيداً بوجودها مع والدها. «اهتزت أغصان شجرة النبق وسقطت بعض أثمارها الناضجة على الأرض ... فكرت ... ليتني أزرع شتلتها فوق مضجع أبي ...» (نفس المصدر: ٣٥) رؤية بعض الصور أو شم بعض الأشياء تحيي الذكريات فينا، مثل فاكهة تلك الشجرة التي تحيي ذكريات الأب ببال كلاريس. «تعيدنا بعض المشاهد إلى الماضي ... المنازل التي فقدناها ... كم كان جميلاً أن نعيش الآن فيها. ومن خلال الأنس والمحبة يجد المنزل هويته وكأنه مادة سائلة قد جمعت ذكرياتنا ونحن ندوب في هذا السائل.» (باشلار، ١٩٨٤: ٧٤-٧٥) فكانت ذكرى والدها والشعور بالأمان الذي يقدمه لها بمثابة راحة من وحدتها. «عندما كنت أشعر بالسوء ... أو بالفرح ... تذكرت والدي ... لا أعرف لماذا أتذكر والدي من رائحة صابون فينوليا» (پيرزاد، ١٣٨٠ش: ١٦٧ و ١٠١) في الواقع، لم تحدث الذكريات البشرية مع مرور الزمن فقط، بل إنها تابعة تماماً على المكان. وعندما تتبادر الذاكرة إلى الذهن، يتم تصوير مكانها بجميع مكوناتها، ويمثل ردة فعل الإنسان تجاه تلك الذاكرة.

المطبخ: لكل ربة بيت، المطبخ هو الجزء المهم من البيت الذي يعكس أهميتها في حياته

وبالطبع إنه مكان يجتمع فيه أفراد الأسرة وتفاعلهم الذي يمكن أن يقوى العلاقات بينهم أو يمحط روحية كل منهم خاصة الأم. ترتب كلاريس مطبخها بعناية خاصة وتحاول دائماً أن يكون كل شيء جاهزاً في الوقت المحدد ويبدو أنيقاً للغاية، وتعتبره واجبها إلى درجة أنها تتجاهل نفسها. «عند وضع الأطباق على الطاولة كنت أنسى نفسي دائماً.» (نفسه: ٢٠٩) وهذا جعل الآخرين يتجاهلونها لأن الإنسان يحترم بقدر ما يحترم نفسه. كانت كل جهود كلاريس جذب آراء الآخرين وعدم وجود أى مشكلة في مفر قيادتها، الأمر الذي تعلمه مرارا وإن كان مزعجاً. «كانت الفتاة تنظر بعناية إلى المطبخ وبعد مغادرتها، كان بال كلاريس مشغولاً بالتساؤل عما إذا كان مطبخها فوضوياً؟ وما الذي كانت تنظر إليه؟ لكن مطبخها كان نظيفاً ومرتباً.. مطبخك ليس وسخاً أبداً.» (نفسه: ١٠) فالمؤلفة استعانت من المواقف المختلفة للمطبخ لوصف شخصية كلاريس المهمة بشكل غير مباشر. على سبيل المثال، في المناقشات المستمرة بين والدتها وأختها، تتسامح دائماً وتبقى صامتة أو توافق. «تشاجرت مع أليس... لا أعرف... تغير لون وجهي... تركت والدتي وأليس وحدهما في المطبخ وذهبت إلى الفناء... تذكرت كلمات والدي: لا تتجادلي مع أحد.. ودائماً قولي: إنك على حق...» (نفسه: ٣٤-٣٥) من ناحية أخرى، كانت كلاريس تنوق إلى الاهتمام وبجاجة إلى من يفهمها ويجري الحوار معها. وامتلاً هذا المكان الفارغ عن غير قصد بحضور جارها الجديد إميل سيمونيان لأنه يهتم بها ويستمتع لكلامها بحماس وكان لديهما هوايات مشتركة. «... بعد أن دخل إميل المطبخ قال: يا له من مطبخ جميل... يا له من ذوق جميل...» (نفسه: ١٠١) وفي جزء آخر من القصة، عندما كانت عائلة سيمونيان ضيوفاً في منزل كلاريس، جاء إميل للمساعدة في المطبخ وتحديثاً مع بعض عمّا كان جديراً لهما «قمنا معاً بقلّي البطاطس وصنعنا السلطة... تحدث عن الطعام الهندي... عن التوابل المختلفة وخصائص كل منها... تحدثنا عن المؤلفين المفضلين لدينا وعن الكتب التي قرأناها.» (نفسه: ١١١)

الكنيسة: من قديم الزمان، كانت الأماكن الدينية مكاناً للتعافي الروحي للإنسان وعندما يشعر بالحزن أو الكآبة يلجأ إليها. في روايتنا هذه، إن كلاريس إضافة إلى مشكلة عدم اهتمام أفراد الأسرة تجاهها، تجد رسالة من ابنها أرمين موجهة إلى فتاة

الجيران وكتب فيها: الموت لكل الآباء والأمهات، وخاصةً ذكر نقدا لاذعا لأمه. غمر الحزن وجودها فتلجأ إلى الكنيسة. «دخلت الكنيسة ... وجلست على المقعد ... لا أعرف كم مدة حدثت في صورة المسيح الصغير بين ذراعى والدته ... كانت لوحات المسيح كطفولة ابني أرمن .. أغمضت عيني وصلت .. وبعد ذلك عدت إلى البيت .. كان دفيء الجو لطيفاً.» (نفسه: ٢٢٠) فالأممكة الدينية عموماً تحسّن روحية الإنسان لأنّها علاقة بالطبيعة البشرية، كبطلة قصتنا التي تشعر بالتحسن بعد الدعاء، وأصبحت المدينة التي تكرهها جذابة لها: «فكرت في نفسي: كم أحب هذه المدينة الدافئة والهادئة.» (نفسه: ٢٢٢)

مساحات خارج البيت: في وصف أي مكان، يتم استخدام الحواس المهمة مثل حاسة السمع أو حاسة الشم. وعندما يتم وصف هذه الحواس بطريقة لطيفة، فإنها تعبر عن المعنويات الجيدة للشخصية، وعندما تكون غير سارة، فإنها تنقل شعوراً سيئاً. فخلال القصة، تشتكى كلاريس من مكان حياتها، وكأنّ كل شيء قبيح وسيءٌ بالنسبة لها. «ذهبت غضبي حتى وصلت الى منتصف الساحة ... تشمّ رائحة الطثرة من النهر ... كان ورائي صف من الأشجار بلا ثمر وبلا فائدة ... الغنيان المستمر من جميع الروائح ... رائحة غاز مصفى النفط، ورائحة الحمأة، ورائحة الروبيان المملح المزوجة بعطور السوق الكويتي ... تجعلني أشعر بالتقيء كل مرة.» (نفسه: ١٧٨) أو يستخدم كلمة شبكة العنكبوت لوصف الفروع الجافة للبلاب، الذي يتعكس في ذهن الإنسان بشكل سلبي دائماً: «كانت الأغصان الجافة من اللبلاب عالقة في جدار المنزل مثل شبكات العنكبوت» (نفسه: ١١٤) على جانبي المسار الأخضر للفناء، كانت هناك ضفادع وكيفية وصفها عن لسان كلاريس تعكس حالتها الروحية. فعندما كانت مكتئبة وغاضبة ممن حولها كان نقيق الضفادع مزعجاً. «وخلال الطريق، كنت أخطو خطوات حازمة وأدوس على الأرض لتحذير الضفادع الغبية من القفز أمامي وعدم إزعاجي» (نفسه: ١١٣) ولكن عندما أعطها إميل سيمونيان كتاباً وكتب جملة لطيفة لها في الصفحة الأولى، لم يعد صوت الضفادع مزعجاً. «كُتِبَ أعلى الصفحة الأولى من الكتاب: لكلاريس التي يمكنني الاستماع إلى كلماتها أياماً متواليّة ... أغلقت الكتاب ... وفتحته مرة أخرى

وقرأت الجملة ... كأنّ الضفادع تدرّش مع بعضها أيضا ...» (نفسه: ١٦٨)

المدينة: تعد المدينة هي المكان الرئيسي لحياة الناس ويتم وصف كل مدينة تبعا لمشاعرهم تجاهها ويمكن أن تكون المدينة مرآة تعكس الحالات المعنوية لسكانها. فتعتبر كلاريس مدينة آبادان عقبة أمام تحقيق الحياة المرغوبة وبالطبع تستحق اللوم على أزمته الروحية. «فكرت في نفسي أن حياتي صارت حربا مستمرة منذ مجيئي إلى آبادان ... أنواع الزواحف والحشرات التي كنت أكرهها منذ طفولتي ... الجو الساخن والرطب ... لماذا أتيت إلى هذه المدينة؟ ... لماذا لم أبق في طهران؟ ... تذكرت منزلنا في طهران ... لم أر الثلج منذ سنوات عديدة ... لماذا أتيت هنا على الإطلاق؟» (نفسه: ١٧٨)

أصبحت آبادان رمزا لأحلامها التي لم تتحقق. ولكن عندما يقرّر زوجها الاهتمام بها وبحياتها، يتغير تعريفها لمدينة آبادان. «ذهبت إلى الفناء وجلست على الأرجوحة ... وكانت هناك رياح لطيفة ... كم كنت أحب هذه المدينة ... جلست سبع أو ثماني فراشات جميلة على شجيرة الورد ... فنظرت إلى السماء ... وكانت زرقاء، بدون ذرة سحب واحدة ...» (نفسه: ٢٩٣)

فيتم وصف المدينة حسب هويتها وتطور شخصيتها.

مزهرية زهور البازلاء: من مظاهر الجمال في الطبيعة هي الزهرة التي تحتاج إلى الرعاية و المحافظة عليها بدقة. في قصتنا هذه، مزهرية البازلاء الموجودة بجوار نافذة المطبخ هي استعارة لروح كلاريس اللطيفة، والانتباه إلى الوردة بمعنى الانتباه إليها. وعلى عكس زوجها أرتوش، فجارهما الجديد إميل سيمونيان أبدى اهتماماً خاصاً بزهرة البازلاء منذ لحظة دخوله الى منزلها. «يبدو أن أزهار البازلاء قد ضعفت ... لقد طلبتُ التربة والأسمدة من المحل ... وسأغير تربتها أيضاً ... نظر إلى البازلاء مرة أخرى وقال: أنا أفهم لماذا يجب الجميع التحدث معك ... لأنّ التحدث معك سهل، كأنّ الإنسان يعرفك منذ سنوات...» (نفسه: ١٠٢-١٠٣)

في الحقيقة إنّ كلاريس لا تحظى بهذا الاهتمام من زوجها فتعرب عن احتجاجها بشكل غير مباشر عبر لغة زهرة البازلاء. «لدينا منزل وفيه مطبخ. ولهذا المطبخ نافذة ووضعنا عليها إناء للزهور منذ سنوات وأنا أزرع البازلاء فيه مرة واحدة في السنة وأغير تربته مرتين في السنة.» (نفسه: ١٤٧-١٤٨)

وكلّما تشعر كلاريس بالقلق، فتكسر المزهرية. «هَبّ ريح وسقطت

مزهريّة البازلاء على الفناء وانكسرت ... فجأة أخذني الحزن» (نفسه: ٢٣١) وعندما يريد زوجها الاعتذار والتعويض عن الماضي، فيأخذ مزهريتي البازلاء، بمعنى أنه أخذ ينتبه إلى كلاريس. «... كنت بخير ولا أشعر بالنوم ... ربما كان سببه مجيء أرتوش بالبيت أمس، لأنه عاد إلى المنزل أبكر من المعتاد ومعه مزهريتين من البازلاء الوردية والبيضاء، نظرت إليهما متعجبة لبضع لحظات، ثم تقدمت إليه وعندما عانقتي أخذت أبكي» (نفسه: ٢٧٠) فزهور البازلاء الجديدة تشير إلى إلى فصل جديد في حياتهما الزوجية مع ازدياد عناية زوجها بها.

هجوم الجراد على المدينة والمنزل: خلال القصة، تعاني كلاريس من التوتر والقلق، ويصور المؤلف قمة تلك الحالات الروحية المزعجة بمهارة خاصة، مع هجوم الجراد الشديد على المدينة وما يسبب الرعب والخطر. ويحدث هذا الحدث الرهيب في نفس الوقت الذي دخل إميل سيمونيان فيه إلى منزل كلاريس. كانت تظن أنه مهتم بها وهذا جعلها قلقة، ولكنها تنهار بعد أن تدرك أنّ إميل سيمونان يهتمّ بأخرى إسمها فيوليت. ويتزامن انهيار مخيلتها مع انهيار وسقوط الجراد الصاخب من السماء.

قاعة الاجتماعات: هنا تمكنت كلاريس من العثور على دورها الاجتماعي الخاص وإعلان استعدادها للمشاركة في الأنشطة الاجتماعية والخروج مما كانت فيه وأدركت أنها يجب أن ترى حقاً لنفسها في الحياة حتى تتمكن من الحفاظ على عائلتها بروح قوية وتخلق جوا هادئا في البيت. «في قاعة الاجتماعات ... سألت السيدة نوراللهي كيف يمكنني مساعدة جمعيتهم ... فنظرت إلي وابتسمت وقالت: بأمر عديده .. سنتحدث مع بعض يوم الجمعة.» (نفسه: ٢٨٠)

الأماكن التي كان لها تأثير على تطوّر شخصية كلاريس وكانت استعارة لجوانب شخصيتها المختلفة، هي:

المعنى الاستعاري	الأماكن
الاعتناء باليومية المكررة	البيت
العناية بالعائلة	المطبخ
العقائد الدينية و التوكل بالله	الكنيسة

الأريكة الجلدية الخضراء	منطقة شخصية للعزلة الداخلية
بيت الأب	الشيء المفقود في حياة كلاريس
مساحات خارج البيت: المدينة الضفادع شجرة التنوب مزهرية زهور البازلاء	الشعور بالرضا أو عدم الرضا عن الحياة القلق و الخوف الأب و عنايته بالأسرة روح كلاريس اللطيفة
هجوم الجراد على المدينة والمنزل	انهيار وهم الحب الزائف
قاعة الاجتماعات	هوية اجتماعية

تم تصوير كوايس كلاريس ومخاوفها في مواجهة أسرتها والآخرين بمساعدة عنصر المكان. الكابوس الذي بدأ عندما غادرت طهران وأتت إلى آبادان. كان منزل كلاريس الوجودي بحاجة إلى الترميم وكان مفتاحه بيد زوجها أرتوش. وعندما غير أرتوش أسلوب حياته تجاه كلاريس وأخذ يهتم بها، أصبحت كل الأشياء القبيحة جميلة بالنسبة لها. "كانت زقزقة العصافير قادمة من الفناء ... قلت بصوت عالٍ تجاه العصافير: «استيقظت أكثر تأخراً عنك اليوم ... تذكرت أن أرتوش قال لي عندما كان يغادر البيت: نامي، فالأولاد ليس لديهم مدرسة... ذهبت إلى الفناء... كانت رياح لطيفة قادمة ... وجلست سبع أو ثمانى فراشات جميلة على شجيرة الورد ... كانت السماء زرقاء بدون أى سحابة.» (نفسه: ٢٧٠ و ٢٩٣)

٢-٢. ملخص رواية عمارة يعقوبيان

كتب الكاتب المصري المعاصر علاء الأسواني رواية عمارة يعقوبيان عام ٢٠٠٢م، على أساس اسم عمارة يعقوبيان بشوارع طلعت حرب بالقاهرة. وتتكون الرواية من أربعة قصص متوازية ومركزها عمارة يعقوبيان. زكى الدسوقي من عائلة الباشوات المصرية الثرية وأدى انقلاب عسكري في مصر إلى مصادرة معظم ممتلكات والده فتغيرت حياته إثر ذلك. طه الشاذلي هو ابن بواب عمارة يعقوبيان. إنه شاب مؤمن

ومخلص ومهذب ومجتهد في دراسته. إنه يساعد والده في تنظيف المبنى وغاية آماله هو الالتحاق بكلية الضباط ولكنه لا ينجح بسبب طبقته الاجتماعية ويرفض. وبسبب غضبه من هذه المواجهة، ينجذب إلى الجماعات الإسلامية المتطرفة وأخيراً يُقتل في صراع مع الشرطة. حاتم راشد، صحفى ومتعلم فى فرنسا ويتحدث الفرنسية بطلاقة وله شخصيتان مختلفتان: الشخصية الرسمية ذات الوجه المتميز والمتعلم فى مكتب الصحفية والشخصية الواقعية خارج مكتب الصحفية هى شخصية مثلية ويقتل أخيراً على يد عشيقه بمنزله. الحاج عزام على ما يبدو شخص متدين ويعمل الخيرات، ولكنه فى الحقيقة يفسد الموظفين فى المناصب الحكومية ويسىء استغلال ثروته بدفع الرشاوى لهم. بثينة، فتاة تخضع لظروف المجتمع غير الأخلاقية بعد بذل جهودها العديدة والفاشلة لتعيش حياة صحيحة.

١-٢-٢. دراسة عمارة يعقوبيان

عمارة يعقوبيان هو اسم مبنى حقيقى فى شارع طلعت حرب فى القاهرة ويعتبر عمارة يعقوبيان عملاً فنياً ومعمارياً فى الثلاثينيات من القرن الماضى، ويمكن القول إن عنصر المكان فى هذه الرواية عنصر واضح ومهم. «المكان الذى له هوية تاريخية هو شاهد على الأحداث المهمة طول الزمان وتحافظ جدران المبنى على حكايات ساكنيه حتى يسحبها القلم الإبداعي لكاتب جرىء من طبقات جدران العمارة.» (الحفناوى، ٢٠٢١: ٣٣٧) يمكن تقسيم العمارة إلى قسمين: الشقق والسطح. كان لسكان السطح عالم آخر بالنسبة لمن يعيش داخل الشقق. فسطح العمارة له قصة خاصة. فى البداية، تم بناء غرف معدنية صغيرة لتخزين مستلزمات الوحدات وكذلك لتربية الكلاب الكبيرة والبرية. ثم تم استخدامه أيضاً لتربية الدجاج والديوك. وبعد انقلاب ١٩٥٢م، أصبح مكاناً للقراء أو المزارعين الذين جاءوا للعمل إلى المدينة. اختيار اسم «عمارة يعقوبيان» للرواية هو اختيار ذكى من جانب المؤلف، لأن هذه العمارة، كشاهد موجود، يمكن أن تروى بشكل غير مباشر أحداث زمانها. فى هذه الرواية، إن تركيز القصة على المبنى السكنى، أو بالأحرى على مكان العيش، الذى يستخدم لوصف

المجتمع والسلوكيات المختلفة لمن يعيش فيه. ورغم أن هذا المكان هو نفس المكان الحقيقي من حيث الاسم، إلا أنه يختلف عنه في عالم السرد ويتبع أهداف المؤلف ويعبر عن مشاكل بلده مصر عبر مبنى وسكانه. «مكان السرد يخدم القصة بمعنى أن شيئاً قد حدث أو سيحدث هناك، ووصف المكان في الواقع هو وصف الشخصيات.» (بحراوى، ١٩٠: ٢٩-٣٠)

والآن نناقش استعارة المكان على الشخصيتين من الرواية:

طه الشاذلي:

إنه في الرواية يمثل للشريحة الضعيفة والدينئة من المجتمع. الشاب الذي يؤمن بالمبادئ الدينية والمعتقدات الإسلامية رغم الفقر والإذلال المستمرين في المجتمع ويأمل بمستقبل أفضل حتى يبني حياته. الآمال التي بقلوب الشباب المتفائلين ولكن يهدمها السياسيون الأغبياء. توصف شخصية طه الشاذلي في خمسة مواضع: المنزل هو مكان لإظهار شخصيته الحقيقية رغم سلوك السكان غير اللائق بشأنه؛ كلية الضباط هي استعارة للسلطة الحاكمة في مصر، والتي تتجاهل الانتباه إلى الشباب المتحمس والفقير وهذه بداية انهيار أحلام طه ومستقبله؛ والمسجد كغيره من الأماكن العبادية مكان للتفتية الروحية والتقرب إلى الله، ولكن بسبب سوء معاملة الانتهازيين، فقد تحول إلى مكان لتربية المتطرفين الإسلاميين. وهذا هو المكان الثاني الذي يغير شخصية طه؛ السجن وهو المركز الثالث الذي يهدم شخصية طه بسبب سوء معاملة موظفيه وإهانتهم واذلالهم للشباب. ويحوّله إلى إنسان غاضب وحاقد؛ والشارع هو المكان الأخير الذي يتحوّل إلى مكان ظهور غضبه وانتقامه وموته:

البيت: يقع مكان سكن طه، على سطح عمارة يعقوبيان. وكان يرافق والده منذ طفولته في أمور العمارة وتنظيفها. ورغم المصاعب الموجودة في حياته، إلا أنه لا يزال شاباً أميناً تقياً ومؤمناً. «... و فوق السطح ... كان ابنه طه، أدّى صلاة الفجر وركعتي السنة ثم جلس على السرير وقرأ الدعاء... اللهم إني أسألك خير هذا اليوم...» (الأسواني، ٢٠٠٢: ٢٦) ومع الأسف أصبحت العمارة مكاناً لإذلال شخصيته وقمعها

لأنهم يجسدون حصوله على مجموع أكبر من أولاد الكثيرين في العمارة في امتحانات الثانوية العامة. «فكان واحدا منهم ... يضيف ساخرا أن ابن البواب سيلتحق بكلية الشرطة قريبا ... إن مناصب الشرطة والقضاء والمناصب الحساسة عموما ينبغي أن تقتصر على أولاد الناس.» (نفس المصدر: ٢٩) ولكنه كان يدرس خلال هذه السنوات وهو يأمل تحقيق حياة أفضل ومستقبل جيد. فكان يخطط لمستقبله من خلال دخوله كلية الضباط، ليصنع حياة جيدة لنفسه ووالده.

كلية الشرطة: إن كلية الضباط قد أثرت على شخصية طه مرتين؛ المرحلة الأولى هي قبل دخوله وإجراء المقابلة فيرى الكلية بمجدها وقوتها. «... انتبه من تفكيره عندما توقف التاكسي أمام مبنى كلية الشرطة الذي بدأ له في تلك اللحظة مهيبا وتاريخيا، كأنه قلعة القدر حيث يتحدد مصيره.» (نفسه: ٣٦) والمرحلة الثانية عند المقابلة فتعرض طه للإذلال بسبب عمل والده وانهارت كل آماله وأحلامه التي كان يمتلكها من طفولته الى شبابه «أنا زعلان على تعبي ... لو كانوا من الأول اشتروا مهنة معينة للأب كنت عرفت... كانوا قالوا ممنوع أولاد البوابين ... طه لم ينم وظل ساهرا واستعاد مئة مرة وجه اللواء رئيس اللجنة يسأله بإهانة: والدك حارس عقار؟ ... قم من أمامي يابن البواب...» (نفسه: ٨٤ و ٨٦)

المسجد: يذهب طه إلى كلية الحقوق للدراسة بعد أن أصيب بخيبة أمل في دخول كلية الشرطة. فإنه محبط ومكتئب لأنه لا يرى مستقبلا لنفسه. عند الظهر يدخل المسجد للصلاة والشيخ الشاكر يتحدث ضد الحكومة. وطه الذي كان غاضبا من ضباط الكلية، ينجذب إلى كلماته. «... إن الجهاد فريضة إسلامية ... والشريعة الإسلامية معطلة في بلادنا المنكوبة ... إن مهمة الشباب الإسلامي اليوم أن يستعيد مفهوم الجهاد...» (نفسه: ١٣٤ و ١٣٥) فرسخ كلام الشيخ على قلب طه شيئا فشيئا لأنه كان غاضبا من الظلم الذي لحق به. وفي الواقع وجد طه شخصيته المفقودة مع شيخ الشاكر، وبالتالي انجذب إلى أيديولوجيته المتطرفة.

السجن: بعد أن شارك طه في مسيرة احتجاجية ضد الحكومة، تعتقله قوات الأمن ويتعرض للتعذيب والاعتداء الجنسي في السجن. هذا هو المكان الذي تتغير

فيه شخصية طه الهادئة والمنطقية وتشتعل بداخله نار من الغضب لا يمكن إخمادها إلا بالانتقام من ذلك الضابط. «لقد أضلوني يا مولانا ... تعرضت إلى أشياء لم أكن أتصور أنّ مسلماً يفعلها أبداً ... سأعرفهم و أنتقم منهم واحداً واحداً...» (نفسه: ٢٣٦ و ٢٣٧) الشارع: لم يعد الشارع لظه وأصدقائه المقاتلين مجرد شارع، بل أصبح محكمة ومكان تنفيذ حكم جلاديتها. حان الوقت الآن للتدقيق وصار طه منقذ الحكم في محكمة بمساحة الشارع الذي يعيش فيه الضباط. «... كان هو ... هو الذي أشرف على تعذيبه ... نفس الصوت الأجهش ... فقد انطلقت فجأة زخات متتابعة من البنادق الآلية أصابت كلها جسد الضابط ... فأخذ الرجلان يطلقان النار في اتجاه طه ... فأحس براحة عجيبة...» (نفسه: ٣٤٣-٣٤٤)

الموجز من الأماكن ومعناها الاستعاري بشأن طه الشاذلي :

الأماكن	معناها الاستعاري
البيت	الفقر، الاختلافات الطبقيّة الحادة، النضال للبقاء
كلية الشرطة	غاية الآمال والأحلام للمستقبل / مكان لتدمير الأحلام والاكنتاب واليأس
المسجد	الاحترام والقبول
السجن	تدمير شخصية طه وكرامته واشعال نار الغضب، وولادة طه جديدة
الشارع	مليئة بالغضب والانتقام الانتقام والقتل والموت

كان لكل مكان من الأماكن المذكورة تأثيرات مختلفة على شخصية طه، ولو كان لكل منها وظيفة مناسبة لكان مصير طه مختلفاً.

حاتم رشيد

شخصية حاتم رشيد متميزة ومتعلمة وناجحة. ولكن للمنزل وللسكن دورا هاما لتكوين هذه الشخصية. وفي الواقع، يتم تدمير روحه في منزل والده وتبدأ مثليته الجنسية. الأمر الذي قاد إلى إذلاله مرات عديدة، وأخيراً تمّ قتله على يد عشيقه بشقته. المكان الثاني هو مكتب الصحيفة الذي يمنحه شخصية مختلفة. فهو مدير يجيد الفرنسية، محترف

وناجح. وأما الشارع فهو المكان الثالث والمهم بالنسبة إلى حاتم، لأن معنى الشارع أكثر من مجرد مكان يمر به. وعندما كان يمشى فيه، كان يبحث عن عشاق ذكور لمصيره المهين: البيت: يمكن القول إن مفهوم البيت عند حاتم كان مختلفاً عن غيره ويتضمن القسمين: القسم الأول هو بيت الأب، حيث قضى طفولته ومراهقته وبسبب جدول والديه المزدهم، فإنه يقضى معظم وقته مع الخدم ووجعه يقترّب من خادم اسمه إدريس، الأمر الذى تسبب له بكارثته وجعل طريق حياته خارجاً عن مساره الطبيعي. «كان حاتم حينئذ فى التاسعة من عمره ... وطلب منه إدريس يوماً أن يخلع ثيابه ... وامتدت علاقة حاتم بإدريس سنوات...» (نفسه: ١٠٧) وأثرت هذه الحادثة على حياة حاتم إلى الأبد. والقسم الثانى هو بعد لقاء شاب اسمه عبده، الذى أعاد له ذكريات إدريس وكأنه كان يبحث عنه طوال حياته. وبعد أحداث، تركه عبده وقتل ذات ليلة على يد عشيق فى شقته. مكتب الصحافة: مكتب الصحافة هو مكان لإظهار الصورة الإيجابية والاجتماعية لحاتم رشيد. «الأستاذ حاتم رشيد صحفى معروف ورئيس تحرير جريدة لوكير ... هو ارستقراطى عريق...» (نفسه: ٥٤) ورغم أنّ زملاءه عالمون بمبوله الجنسية المثلية، إلا لم يتمكنوا من ذكر هذه المسألة مباشرة. «إنه جاد وصارم ... ربما أكثر مما يجب، وهو يقضى معهم أكثر ساعات اليوم فلا تبدر منه أى حركة أو لفتة تتم عن ميوله...» (نفسه: ٢٥١) كأن مكتب عمله استطاع أن يلبسه بطريقة إيجابية وفريدة تماما.

الشارع: كان الشارع ساحة صيد لحاتم ليطارد العشاق الذكور لنفسه ويمرح معهم. و«شاهد جندياً شاباً اسمه عبده فى الشارع، فاقترب منه وابتدأ الحوار: "يا عبده! تعال معى الليلة والصبح نتفاهم...» (نفسه: ٥٧) وهكذا دخل الجندى الفقير عالم حاتم رشيد المثلى.

الموجز مما ذكر هو:

المكان	معناه الاستعارى
البيت: بيت الأب بيته الشخصى	عدم اهتمام الوالدين برعاية ولدهما وبداية الاعتداء جنسى عليه وتغيير مصيرة حياته علاقته بعبدة ثم وفاة حاتم على يد عشيقته
مكتب الصحافة	مظهر إيجابى ومؤدب ومتميز
الشارع	جوهر حاتم الحقيقى ومكان لاصطياد عشاق الذكور

إن التأمل في الأمكنة التي كان فيها حاتم رشيد طوال حياته يمكن من الوصول إلى السبب الرئيسي للذنب الذي يرتكبه. «فإذا نتأمل في مكان السرد، فيتمثل البعد الحقيقي للنص. والتفاعل بين الأماكن والشخصيات في السرد ثابت ومستمر كما هو الحال في الحياة.» (خليل، ٢٠١٠: ١٣١) ففى رواية عمارة يعقوبيان، المعنى الحقيقي للقصة هو استعارة عن العلاقات المختلفة بين شرائح المجتمع المصرى مع بعضهم البعض أى كيف تُنتهك الإنسانية وتُغير الأحداث المتسلسلة مستقبل البشر. على سبيل المثال، إذا لم ترفض كلية الشرطة طه، بسبب الفقر، فسيتم الآن إضافته إلى الأشخاص الذين يدعمون الوطن بكل وجودهم، أو تكمن جذور المثلية الجنسية لدى حاتم فى إهمال والديه الامر الذى جعله يتحمل هذا العار مدى الحياة. ويمكن وصول إلى هذه النتائج بفضل مكان الرواية وإن كان بنفس الاسم الحقيقى «ولكنه مكان تحدث فيه أهداف ومتطلبات المؤلف الخيالية. ويمكن القول إن المكان الفنى قبل أن يكون ذات علاقة بالواقعية فإنه بعيد عنه والعامل الوحيد المتصل به هو قوة الخيال.» (اصغرى، ١٣٨٨ش: ٣٠) تعكس استعارة المكان الخلافات الاجتماعية والنفسية والأيدولوجية بين الشخصيات الروائية، بالإضافة إلى أنه يمكن أن يعبر عن رؤية الشخصيات وموقفها تجاه العالم. «للمكان قيمة تتجلى من خلال اكتشاف أبعاده الجمالية والدلالية والأيدولوجية الثلاثة.» (الطعان، ١٩٩٥: ٦٦)

النتيجة

المكان عنصر بنوي وأساسى فى الرواية، وله أهمية خاصة فى مجرى الأحداث والشخصيات. ولا يمكن تشكيل القصة حتى يتبين مكان السرد، سواء كان هذا المكان حقيقيا أم افتراضيا. قبل ظهور الرواية المعاصرة، لم يكن المكان مهماً جداً وكانت القصص تبدأ هكذا: كان يا مكان فى قديم الزمان .. أو كان شخصا فى الماضى...، ولكن الآن بدونه، لا يوجد سرد. يرى بعض المؤلفين أهمية خاصة للمكان ويقدمونه كشخصية مهمة فى القصة ومن خلاله يدخلون شخصيات القصة ويصفون مخاوف وكوابيس الشخصيات بالأماكن الموجودة فى السرد. فإن المكان فى هذه الروايات هو استعارة

- لمفهوم غير مرئي، ويدركه القارئ من خلال المواقف المرئية التي يقدمها المؤلف.
١. فى رواية أنا أطفئ المفاتيح، تركز القصة على بيت من البيوت الحكومية التابعة لشركة نفط آبادان وهو موجود فى الواقع، رغم أن بداية القصة مأخوذة من الواقع، فإن وجهتها هى خيال المؤلفة. بيت الأب هو مكان نمو الإنسان وتطوره وهو أيضا ملجأ له عندما يكبر وهنا دلالة على الأحاسيس المفقودة لبطله الرواية فى حياتها الزوجية وتبحث عنها بذكرياتها المحلوة فى ذلك البيت.
 ٢. لكل شخص مساحة خاصة يشعر بها بالهدوء والأمن، ويطلبها لوحده، كبيرة كانت أو صغيرة. فكانت لمرأة هذه الرواية أريكة تجلس عليها وتشعر براحة وتفكر فى نفسها. وهذه الأريكة تلعب دور منطقة آمنة لها.
 ٣. مزهرية زهور البازلاء استعارة عن روح كلاريس اللطيفة والاهتمام بالمزهرية أو عدم الاهتمام بها بمعنى الاهتمام أو عدم الاهتمام بكلاريس. كما هجوم الجراد على المدينة وسقوطها على الأرض استعارة عن انهيار وهم الحب الزائف وقاعة الاجتماعات استعارة عن تواجد هوية اجتماعية لكلاريس.
 ٤. إن اتجاه الإنسان بشأن المدينة التى يعيش فيها أو الحيوانات والحشرات الموجودة فيها، له علاقة مباشرة بروحه. فعندما كانت كلاريس غير سعيدة وغاضبة من حياتها وتجاهلها من حولها، كانت مدينة آبادان وجو الفناء وصوت الضفادع كلها مؤلمة، ولكنها بعد استعادة العلاقة العاطفية مع زوجها، أصبح نعيب الضفادع محادثة ودية! وظهر هذا التعبير فى وصفها لمدينة آبادان أيضا. فالكتابة تستعين من المساحات المرئية لوصف أمور غير مرئية كالحب والمحبة والغضب والملل والتعب والتجاهل.
 ٥. مركزية السرد فى عمارة يعقوبيان هى بناء تاريخى وسط القاهرة، والذى يروى أحداث زمانه مثل كتاب التاريخ. وهذه العمارة وطبقاتها وسكانها هى تمثيل للمجتمع المصرى وشرائحه الاجتماعية. ورغم أن هذا المبنى يشير إلى المكان الحقيقى، إلا أن معناه الحقيقى هو القضايا النفسية للأشخاص الموجودين فيه، وليس المكان نفسه فقط. وتعتبر عمارة يعقوبيان عنصراً مهماً لتبيين موضوع

القصة. والرواية تحكى عن المشاكل الموجودة في المجتمع المصرى مثل: الفقر، والكذب، والرشاء، والمثلية الجنسية، واستغلال السلطات الحكومية لمناصبهم و... وللأماكن المذكورة في القصة أثر خاص على عملية تكوين شخصيات السرد وتطورها.

٦. البيت، بالنسبة لطفه الشاذلى، هو مكان لتربيته الدينية والأخلاقية ومساحة لتحمل المصاعب لتحقيق أحلامه، ولكنه بالنسبة إلى حاتم رشيد، يصبح مكاناً لتدمير روحه وشخصيته، ويخلق له مصيراً مظلماً يقود في النهاية إلى قتله في منزله.

٧. كلية الشرطة والسجن كمركزين حكوميين استعارة للحكومة المصرية التي تدمر حياة الشباب ومستقبلهم في البلاد بعدم كفاءتها وسلوكها الخاطئ.

٨. المسجد من الأماكن المهمة في تكوين شخصية الشباب الدينية في اتجاه تقدم البلاد، ولكنه بسبب السياسات الخاطئة لجهات خاصة، يصبح مكاناً لتحويل الشباب لمتطرفين.

وعلى أساس ما مرّ بنا من ذكر استعارة المكان، فيعتبر مكان العيش هو المكان الرئيسى في كلتي الروايتين ويتم استخدام الأماكن الأخرى لوصف الأبعاد المختلفة لشخصيات السرد.

المصادر والمراجع

الأسواني، علاء. (٢٠٠٥). عمارة يعقوبيان. القاهرة: مكتبة مدبولي.

باشلار، غاستون. (١٩٨٤). جماليات المكان. ترجمه هلسا غالب. بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر.

بجراوى، حسن. (١٩٩٠). بنية الشكل الروائى. بيروت: المركز الثقافى العربى.

بيرزاد، زويا. (١٣٨١ش). چراغها را من خاموش مى كنم. تهران: نشر مركز.

خليل، ابراهيم. (٢٠١٠). بنية النص الروائى. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.

الطعان، صبحى. (١٩٩٥). عالم عبد الرحمن منيف الروائى. عمان: دار كنعان للنشر.

قاسم زاده، حبيب الله. (١٣٩٢ش). استعاره وشناخت. تهران: انتشارات كتاب ارجمند.

مدرسى، فاطمه. (١٣٩٥ش). فرهنگ توصيفى نقد و نظريه هاى ادبى. تهران: پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگى.

ولک، رنه. (۱۳۸۲ش). نظریه ادبیات. مترجمان موحد ضیاء مهاجر پرویز. تهران: نشر تهران.

هاوکس، ترنس. (۱۳۷۷ش). استعاره. ترجمه فرزانه طاهری. تهران: نشر مرکز.

المقالات العلمیه

اصغری، جواد. (۱۳۸۸ش). «بررسی زیبایی شناختی عنصر مکان در داستان». نشریه دانشکده

ادبیات و علوم انسانی شهید باهنر کرمان. العدد ۲۶. صص ۴۶-۲۹

الحفناوی، أمانی حافظ. (۲۰۲۱م). «هویه‌ی المكان فی عمارة یعقوبیان لعلاء الأسوانی». المجله. العدد

۲۹. صص ۳۷۰-۳۳۱

سجودی، فرزانه؛ قنبری، زهرا. (۱۳۹۱ش). «بررسی معنا شناختی استعاره زمان در داستان‌های

کودک به زبان فارسی». فصلنامه علمی پژوهشی نقد ادبی. العدد ۱۹. صص ۱۳۵-۱۵۶

کاظم‌زاده، نسرین و همکاران. (۱۳۹۸ش). «واکاوی حس تعلق مکانی در رمان (من منتظرت

هستم)». سناء ابوشرار. نشریه نقد ادب معاصر عربی. العدد ۱۶. صص ۹۷-۱۱۹

ناظمیان، رضا ورمضانی، ربابه. (۱۳۹۷ش). «پیرنگ استعاری در داستان کوتاه زیر سایبان».

پژوهشنامه نقد ادب عربی. العدد ۱۶. صص ۲۹۸-۲۷۲



پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
رتال جامع علوم انسانی